

صيد الخاطر

165 - - فصل : اغتنم شبابك قبل هرمك .

رأيت من الرأي القويم أن نفع التصانيف أكثر من نفع التعليم بالمشافهة .
لأنني أشفاه في عمري عددا من المتعلمين و أشفاه بتصنيفي خلقا لا تحصي ما خلقوا بعد .
و دليل هذا أن إنتفاع الناس بتصانيف المتقدمين أكثر من إنتفاعهم بما يستفيدونه من مشايخهم .

فينبغي للعالم أن يتوفر على التصانيف إن وفق للتصنيف المفيد فإنه ليس كل من صنف صنف .
و ليس المقصود جمع شيء كيف كان و إنما هي أسرار يطلع الله عليها من شاء من عباده و
يوفقه لكشفها فيجمع ما فرق أو يرتب ما شئت أو يشرح ما أهمل هذا هو التصنيف المفيد .
و ينبغي إغتنام التصنيف في وسط العمر لأن أوائل العمر زمن الطلب و آخره كلال الحواس .
و ربما خان الفهم و العقل من قدر عمره و إنما يكون التقدير على العادات الغالبة لأنه
لا يعلم الغيب فيكون زمان الطلب و الحظ و التشاغل إلى الأربعين ثم يبتدء بعد الأربعين
بالتصانيف و التعليم .

هذا إذا كان قد بلغ ما يريد من الجمع و الحفظ و أعين على تحصيل المطالب .
فأما إذا قلت الآلات عنده من الكتب أو كان في أول عمره ضعيف الطلب فلم ينل ما يريده في
هذا الأوان آخر التصانيف إلى تمام خمسين سنة .

ثم ابتداء بعد الخمسين في التصنيف و التعليم إلى رأس الستين ثم يزيد فيما بعد الستين
في التعليم و يسمع الحديث و العلم و يعلل التصانيف إلى أن يقع مهم إلى رأس السبعين
فإذا جاوز السبعين جعل الغالب عليه ذكر الآخرة و التهيؤ للرحيل فيوفر نفسه على نفسه إلا
من تعليم يحتسبه أو تصنيف يفتقر إليه فذلك أشرف العدد للآخرة .

و لتكن همته في تنظيف نفسه و تهذيب خلاله و المبالغة في إستدراك زلاته فإن إختطف في خلال
ما ذكرنا فنية المؤمن خير من عمله .

و إن بلغ إلى هذه المنازل فقد بينا ما يصلح لكل منزل .

و قد قال سفيان الثوري : من بلغ سن رسول الله صلى الله عليه و سلم فإلتخذ لنفسه كفنا و
قد بلغ جماعة من العلماء سبعا و سبعين سنة منهم أحمد بن حنبل فإنه بلغها فليعلم أنه على
شفير القبر و أن كل يوم يأتي بعدها مستطرف .

فإن تمت له الثمانون فليجعل همته كلها مصروفة إلى تنظيف خلاله و تهيته زاده و ليجعل
الإستغفار حليفه و الذكر أليفه و ليدقق في محاسبة النفس و في بذل العلم أو مخالطة الخلق

فإن قرب الاستعراض للجيش يوجب عليه الحذر من العارض .
و ليبالغ في إبقاء أثره قبل رحيله مثل بث علمه و إنفاق كتبه و شيء من ماله .
و بعد فمن تولاه □ D علمه و من أرادته ألهمه .
فسأل □ D أن ينعم علينا بأن يتولانا و لا يتولى عنا إنه قريب مجيب